بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة صلاة الجمعة للشيخ الأستاذ خضر شحرور

الأمل والأجل

الحمد لله، الحمد لله أحمده، وأستعينه وأستهديه وأسترشده، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله، إله حكم فعدل وأعطى فأجزل، وأشهد أن سيدنا مُحَمَّداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، خير نبي ارتضاه وإلى خير أمة أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم.

عباد الله، ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيد﴾ [الحج: ١-٣] اللهم اجرنا منه يا رب العالمين.

وبعد أيها الإخوة المؤمنون، ما زلنا مع حديث الحب، مع سيدنا رسول الله ﷺ، حيث يُعلمنا كيف نحيا حياة نكون فيها من المحبوبين، ونكون فيها من المرضيين، لأن الله سبحانه يقول في كتابه: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَه﴾ [المائدة: ٥٤] أعلن لعباده الحب، وأنه بادرهم بالمحبة، وينبغي للعبد أن يتعلم كيف يَكون محبوباً من الله تبارك وتعالى، وعلمنا أن الطريق الأقوم لذلك هو ما قاله الله سبحانه وتعالى على لسان حبيبه الأعظم مُحَمَّد: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّه﴾ [آل عمران: ٣١] إذاً الاتباع هو سر المحبة، تتسربل المحبة وتنزل عليك إذا كنت متبعاً للحبيب الأعظم مُحَمَّد ﷺ، وعلمنا أن رسول الله ﷺ، كان يحب الفأل الحسن، لم يكن رسول الله ﷺ متشائماً، ولم يحب لعباد الله أن يكونوا مُتشائمين، علمهم كيف يتناسوا الجراح والماضي، وكيف ينظرون إلى المستقبل، علمهم أنه لا هامة ولا طيرة، علمهم أنه ينبغي للإنسان أن لا يَلجأ إلى الكهنة والمشعوذين، علمهم كيف يتكلون على الله سبحانه وتعالى، كيف يمشون بخطى ثابتة نحو المستقبل الذي يريده الله منهم،

وعلمنا حديث رسول الله ﷺ: ((المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، ولا تقل لو كان كذا لفعلت كذا، فإن لو تفتح عمل الشيطان)) إذاً ينبغي للإنسان أن يحرص على الشيء النافع، أن لا يقف حياته يتباكى على الماضي، فإن الماضي لن يعود، وهذا ما كانت عليه سنة الله في خلقه، حيث أخفى عنهم أجلهم، وأخفى على العباد ساعة وفاتهم، واختص ذلك بعلمه تبارك وتعالى، حتى لا يَقنط الإنسان، ولا ييأس ولا يكل ولا يمل، لو أن الناس علموا الساعة التي ستأتيهم لوجدت أن الناس قعدوا في بيوتهم، ولما خرج أحد من داره، ولكن الأمل يَحدو بالإنسان ويدفعه إلى العمل دفعاً، وهذه سنة الله في الخلق الذي أرادها منهم، لذلك كان رسول الله ﷺ يحب الحال المرتحل، ما معنى الحال المرتحل؟ الذي ينهي رحلته ويبدأ برحلة جديدة، وكانت هذه سنة حتى في الأعمال، إذا نظرتم إلى صلاة التراويح تجدون أن من يختم القرآن في رمضان يَبدأ بسورة الفاتحة في آخر ركعة من رمضان، ويبدأ بسورة أول البقرة، والناس لا يفهمون غاية من ذلك، الغاية أن الله ورسوله ﷺ امتدحا الحال المرتحل، كأن الإنسان في هذه العملية يقول: هذه بداية ختمة لسنة جديدة، هذا تأسيس لمستقبل مليء بالإيمان، هذه نظرة إلى مستقبل تملؤه الطاعة لله تبارك وتعالى، هكذا الإيمان أيها الإخوة، هكذا الإسلام، لا يعرف الإنسان الملل والكلل.

يُروى في الكتب أن سيدنا إبراهيم عليه السلام مر برجل كبير طاعن في السن، يَحمل المعول بيده، ويضرب الأرض، ويعمل ليلاً نهاراً، فقال سيدنا إبراهيم: (اللهم ارفع الأمل من قلبه) وإذا بالرجل يترك معوله ويجلس على الأرض، لا يفعل شيئاً ثم يقول سيدنا إبراهيم: (اللهم رد الأمل إلى قلبه) وإذا بالرجل يُعاود مسرعاً، فيحمل فأسه ويحمل معوله، ويبدأ بضرب الأرض من جديد، جاءه سيدنا إبراهيم، قال: يا هذا رأيتك قبل قليل تحرثها حرثاً، ثم رأيتك جالساً تترك معولك، ثم رأيتك تعود لعملك من جديد، ما الذي حدث لك؟ قال: كنت أعمل بجد، فجاءتني فكرة في لحظة

هي أنني قد أموت الساعة، فماذا أستفيد من عملي هذا، وأنا رجل طاعن في السن، وماذا يفيدني هذا العمل؟ فتركت معولي، ثم لما جلست جاءتني فكرة ثانية تقول: لعلك ممن أراد الله أن يطول أجلهم وعمرهم، لو أنك بقيت عمراً طويلاً بعد هذا العمر، من الذي سينفق عليك، ومن الذي سيأتيك بالمال، قال: فقمت من ساعتي لأعمل من جديد.

هذا هو الأمل الذي يدفع الإنسان إلى العمل، الإنسان يدفعه الأمل ويحرسه الأجل، فهو لا يعلم ساعته، ويعلم أن الأمر بقضاء من الله وقدر، لا يلتفت إلى كاهن ولا راهب ولا مشعوذ ولا إلى ضار رمل، لا يتطير ولا يتبع الخرافات، يتناسى الماضي ويستفيد منه، ثم يبني عليه مستقبله، لا يقول: ماذا أفعل وماذا عساي أن أقدم، وماذا ينفع عملي، وماذا يكون في هذا العمل من جدوى؟

الرسول عليه الصلاة والسلام بَنى هذه الأمة بناءً مختلفاً عن الأمم السابقة كلها، قال رسول الله ﷺ: ((إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها)) [أخرجه البزار] انظر إلى الصورة، إذا كان يوم القيامة، الساعة القائمة، والقيامة تقوم، أي لم يبق في هذه الدنيا شيء يعمل الإنسان من أجلها، انتهت أيامها وساعاتها، قال إذا كان في يدك فسيلة أي غرسة فاغرسها، ازرع، متى ينبت هذا الزرع؟ ومن سيأكل منه؟ الساعة تقوم، قال الله سبحانه ورسوله: يَنبغي أن تزرع، وهذا تنبيه وتعليم أنك يجب أن لا تتوقف عن العمل، وأن يكون دائماً عملك صالحاً، وأن تحرص على ما ينفعك، وأن لا تقف عند الماضي كثيراً، إلا على الاستفادة، بهذه القواعد تُبنى الأمم، بهذه القواعد تُنشأ العقيدة، بهذه القواعد يكون الإنسان صالحاً، ويكون عبداً لله وخليفةً لله في أرضه، اللهم اجعلنا من عبادك الصالحين، ومن خلفائك المؤمنين، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، فيا فوز المستغفرين استغفروا الله.